الفصل الثاني

الصراعات الداخلية الحبشية علي العرش .

واجه أباطرة الأسرة السليمانية خاصة في العصر الثاني لها العديد من الصراعات والثورات الداخلية في البلاد، وذلك نتيجة فترة الاضطربات السياسية التي جاء على خلفيتها الإمبراطور زرء يعقوب Zar'a Y'aqob (838-873هـ/1434-1468م) على عرش البلاد.

كان الصراع الداخلي بين أمراء الأسرة الزغاوية[1] (329-669هـ/940-1270م) أحد أهم العوامل التي أدت إلى سقوط هذه الأسرة، وليس أدل على ذلك من قيام مذبحة كبيرة بين أعضاء الأسرة الحاكمة في دبرا دامو Debra Damo في منتصف القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، وذلك أثناء حكم الملكة (جوديت- أسترا-Esthera)[2] (329-370هـ/940-980م) اليهودية الأصل، وقد استمرت مثل هذه الصراعات والثورات الداخلية في ظل تولي ملوك من ديانات مختلفة على رأس المملكة[3]، لذا أنشأ الملك (لاليبالا-Lalibela)[4] (585-622هـ/1190-1225م) صرحًا

---

1 - سبق التعريف بها.

2- Paul B.Henze: Layers Of Time A history Of Ethiopia , Hurst , Company, London, 2000, pp. 53-56 & Knud Tage Andersen: The Queen of the Habasha in Ethiopian History,Tradition and Chronology, Bulletin of the School of Oriental and African Studies, University of London, Vol. 63, No. 1. (2000), pp.39-41.

3 - -Charles F. Rey: Unconquered Abyssinia as it is to-day: an account of a little known country, its peoples & their customs, considered from the social, economic & geographic points of view, its resources & possibilities, & its extraordinary history as a hitherto unconquered nation, London, 1923,p 86.

4 - اتخذ الملك لاليبلا لنفسه لقب جبرإماسقال (Gebre Mesqel) ومعناها خادم الصليب، وقد عرف عنه حبه للسلام واهتمامه برجال الدين، وقد قام بترميم العديد من الكنائس وبنى أكثر من عشر كنائس جديدة في جميع أنحاء البلاد ما زال بعضها باقيًا حتى الآن، واستعان فيها بعدد من العمال المصريين بالاضافة إلى بعض الهنود، ويقال إنه قبل توليه الحكم نفي بسبب عداوة عمه Tatadim إلا أنه استطاع الهرب وقام بثورة استطاع الاستيلاء بها علي الحكم في عهد أخيه الكبير، لذا يعتقد أنه وصل للحكم بقوة السلاح، ويختلف الباحثون في سنوات حكمه (1189 – 1229م) بينما يذكر آخرون أنها (1180- 1220م) وبينما نجد فريقًا ثالثًا يؤكد أنه كان معاصرًا للخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله (996-1020م) ولكنهم يجتمعون على أن مدة حكمه كانت أربعين عامًا. انظر

كبير ليحجز فيه أبناء الأسرة الحاكمة لتلافي الصراعات فيما بينهم، وهو ما أطلق عليه "السجن الملكي أو أمبا جيشن" حيث استمر هذا التقليد بين أباطرة الحبشة عامة حتى بدايات العصر الحديث[1].

ورغم وجود هذا السجن الملكي، إلا أن هناك العديد من الإشارات في بطون المصادر الحبشية التي تدل على استمرار وجود مثل هذه الصراعات والثورات في عصر الأسرة السليمانية عامة، تزداد حدتها بصفة خاصة عند اعتلاء كل إمبراطور جديد عرش المملكة الحبشية[2]. فالإمبراطور (أو ملك الملوك) هو رأس الحكم، وهو يرث الحكم عن أبيه، ولكنه لم يكن للابن الأكبر بقدر ما كان للابن الأقوى[3]. وربما يمكن التدليل على صحة هذا الرأي بالإشارة (كما سبق ذكره) إلى فترة حكم يجيبا صيون Yagba soyan (684-694هـ/ 1285 – 1294م) والذي كان له خمسة أبناء اتفق معهم أن يحكم البلاد كل منهم لمدة عام بالتناوب[4]، إلا أن آخر أبنائه والذي يدعى سابا أسجد Sab'a Asgad (698-699هـ/1298-1299م) لم يصبر حتى تنتهي فترة حكم أخيه (جين أسجد Djin Asgad 697-698هـ/1297-1298م)، فدبر مؤامرة للقبض

زاهر رياض، تاريخ إثيوبيا، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1966م، ص 126 – 127. كذلك

- Jules Perruchon (traduction): Vie De Lalibala Roi D' Ethiopia, Manuscrit Du Musee Britannique, Editeur Ernest Leroux, Paris, 1892, p.51.

1-A.H.M.Jones and Elizabeth Monroe: A history of Ethiopia, oxford university, at the clarendon press,1974 , pp.26-31.

2- John Cameron Grant: The Ethiopian A narrative of the Society of Human Leopards, Paris,1901,p.38.

3 -Taddesse Tamrat: Hagiographies and the Reconstruction of Medieval Ethiopian History, in Rural Africana,1970, p.105.

4 - Mordechai Abir: Ethiopia and The Red Sea The Rise and Decline Of The Solomonic Dynasty and Muslim – European Rivalry in the Region, Gainsborough House, London, E11.Rs, England, 1980,p. 21.

عليه وإخوته الأخرين، إلا أنه لم يعيش طويلًا[1]. كما أن يجيبا صيون نفسه قد ورث الحكم عن أبيه يكونو أملاك رغم أنه أصغر أبنائه، حيث تمكن من سجن إخوته جميعًا[2]. وفي نفس الصدد أيضًا فقد استطاع ودم بن سيف أرعد Wedem Sayfa Ar`ed (774-784هـ/1373-1382م) أن يأخذ الحكم من أخيه داود Dawit I (784-814هـ/1382-1411م) رغم صغر سنه[3]، وهكذا فإذا اعتلى أحدهم العرش لا يمكنه الاستمرار في الحكم إلا بمقدار قوته وقدرته على المحافظة عليه من الطامعين[4].

ولم يكن موت الإمبراطور هو السبب الوحيد لوجود الصراعات بين أعضاء الأسرة الحاكمة على العرش، بل كان هناك العديد من محاولات اغتصاب العرش بالقوة أثناء حياة الإمبراطور، فهناك ثلاث محاولات لانتزاع الحكم في أوائل حكم الأسرة السليمانية حتى عهد الإمبراطور (دواد)، فأثناء حياة هذا الإمبراطور أشارت مصادر القديسين الأحباش إلى أن القديس (ماري) St. Mary جمع حوله العديد من رجال الدين واستقر رأيهم على وجوب تنازل (داود) عن العرش لابنه (تيودورس)[5]، وقد استعان (دواد) بـ(العقابي ساعات سيجاقا) Saraqa في دبر حيق وبعض قادة الجيش الذين طلبوا العفو والسماح من القديس (ماري) الذي وافق وسامحه بل إنه صلى من أجله، وتتفق تلك المصادر على أن

---

1 - Budge: op. cit. p. 287.

2- Elaine Murray Stone: A Saint and His Lion, The Story Of Tekla Of Ethiopia , Paulist Press , 2003, p36.

3-Thomas P. Ofcansky and Laverle Berry: Ethiopia A Country Study, Federal Research Division Library of Congress,2004, pp. 24-26 see also Jules Perruchon ,Histoire des guerres d'Amda Seyon, roi d'Ethiopie, in Journal asiatique.ser.8, t.Xiv,1889,p.xx.

4 - العمري، المصدر السابق، ص 42، مجدي عبد الرازق سليمان، المرجع السابق، ص ص 98-99، زاهر رياض، تاريخ إثيوبيا، ص 131. انظر أيضًا:

Jules Perruchon: Les chroniques de Zar'a ya'eqobe et de Ba'eda Maryam, Rois d Ethiopie de 1434 A 1478, Paris, 1893,pp124-125.

5-Taddesse Tamrat: Hagiographies and the Reconstruction of Medieval, p.106

(العقابي ساعات) مات في عام 1403م؛ أي إن هذه الواقعة حدثت قبل هذا التاريخ الذي أدى فيها (العقابي ساعات) دورًا رئيسًا في استقرار المملكة فترة من الوقت، فقد أبقى (دواد) على عرشه ما لا يقل عن سبع سنوات كاملة[1].

وهكذا بدت المملكة الحبشية على شفا هاوية عندما اعتلى الإمبراطور زرء يعقوب عرشها ليقوم بأعظم عملية ترميم في بناء المملكة المتداعي في العصور الوسطى. ويبدو أنه ليس من الواقع في شيء أن نعد زرء يعقوب أول الملوك المصلحين الذين عملوا على إنقاذ المملكة، إذ وجد من الذين تعاقبوا على عرش المملكة الحبشية من أحسوا بخطورة الموقف ورغبوا في الإصلاح، لا سيما الإمبراطور (عمدا صهيون الأول) الذي أطلقت عليه المصادر المختلفة "المؤسس الحقيقي للأسرة السليمانية"[2].

أما عن الصراعات والثورات الداخلية التي قامت في العصر الثاني من حكم الأسرة السليمانية فهي تختلف عما نقرأه في كتب التاريخ المختلفة، فلم تكن ناتجة عن تمرد الشعب بسبب فرض المزيد من الضرائب وسوء الأحوال الاقتصادية وكثرة الحروب الداخلية بقدر ما كانت نابعة من الأطماع الداخلية في الاستيلاء على العرش من قبل أعضاء الأسرة الحاكمة وبعض كبار النبلاء ورجال الدين.

وقد اختلفت الأسباب التي أدت إلى قيام مثل هذه الدسائس تبعًا لأحوال كل عصر، إذ يشير النص الملكي الحبشي في عهد (زرء يعقوب) إلى كثرة الارتعاد والخوف الذي كان في أيامه نتيجة قوة حكمه وقضائه

1 - Taddesse Tamrat: Church and State in Ethiopia, p. 282-283.

2- Peter Schwab: Ethiopia: politics, economics and society, Published London Pinter,1985, p.211.

تحت ستار الشرعية الدينية[1]، حتى إن كبار القادة حين يدخلون عليه لإلقاء كلمة كانوا يسجدون على ركبهم، ويقبلون الأرض خوفًا وارتعادًا كلما سمعوا صوت الإمبراطور[2].

أما الثورات والتمردات الداخلية التي عاصرت (بئيد ماريام) فقد كانت على العكس من ذلك تمامًا، إذ كانت نتيجة مناخ الحرية الذي جاء به الإمبراطور وأحس به الشعب بعد ظلم مرير إبان عصر أبيه، مما سمح للشعب بعلو الأصوات التي صمتت طويلًا، بينما يشير النص الملكي الحبشي في عهد الإمبراطور (ألكساندر) إلى تطلع بعض رجال الدين إلى إدارة شؤون المملكة[3]، فضلًا عن قيام المنازعات بين كبار مسؤولي المملكة بسبب صغر سن الإمبراطور وعدم داريته بالحكومة وشؤون البلاد[4].

وهكذا ازدادت الصراعات السياسية في ظل صغر سن أباطرة هذه الفترة، ما أدى إلى تطلع بعض رجال الدين إلى التدخل في الأمور السياسية، وكان ذلك أحد الأسباب الرئيسة في فترة حكم (عمدا صهيون الثاني)، والتي اشتهرت – رغم قصرها - باشتعال الحروب الأهلية وإراقة الدماء بين أنصاره وأنصار عمه الإمبراطور (ناؤود) الذي تولى الحكم من بعده، فقد استطاع أحد رجال الدين ويدعى (تكلا كرسيوس) إثارة الشعب ضده، وكادت الثورة أن تهلك البلاد لولا نهايته السريعة[5].

1-"وكان في أيام ملكنا زرء يعقوب خوف عظيم وذعر بين كل أهل إثيوبيا، بسبب قانون حكمه وشدته" انظر:

- Perruchon:Les chroniques de Zar'a Ya'qob et de Ba'eda – Maryam, p.4.

2 - "وحين يدخل هؤلاء القادة -حيث يوجد الملك- لإلقاء كلمة، يسجد الجميع بركبهم، ويقبلون الأرض خوفًا وارتعادًا كلما سمعوا صوت الملك " انظر:-

- Perruchon: op, cit , P.33.

3 - Taddesse Tamrat: Church and State in Ethiopia, p.292.

4 - " وبالنسبة للملك لم يكن يعرف لا الحكومة ولا شؤون الحبشة- لأنه كان وقتئذ طفلًا صغيرًا". انظر:

- Perruchon: Histoire d'Eskender , d'Amda-Seyon II et de Na'od , pp.353-354.

5 - " وتآمر مع أصدقائه وقاموا بثورة ضد الملك". انظر:

والملاحظ أن هذه الثورات اختفت تقريبًا في عهد (لبنا دنجل) بسبب انشغال عهده بالحروب مع المسلمين[1].

أما عن أحداث هذه الصراعات والدسائس فسنتناولها بشيء من التفاصيل على النحو التالي:-

1- في عهد (زرء يعقوب 838 – 873 هـ /1434– 1468م):

وضع أغلبية المؤرخين والرحالة (زرء يعقوب) كواحد من أقوى أباطرة الحبشة في العصور الوسطى، إذ لم يوضع أحد مقامه سوى الإمبراطور (عيزانا) كأقوى أباطرة الحبشة. ورغم ذلك فإنه يصعب تصور عدد المؤامرات والدسائس التي قامت في عهده، وقد أورد بعض الباحثين أن سبب هذه المحاولات هو انحراف هؤلاء عن الإيمان الصحيح بالعقيدة النصرانية، لذا أُحِيكَت الدسائس و قامت الثورات من جانب أبنائه وبناته وأزواج بناته، إضافة إلى رجال البلاط، وبعض رجال الدين، وذلك في محاولات عديدة لإقصائه عن عرشه[2]، وذلك على النحو التالي:-

أ- الثورات التي قامت من جانب الأسرة والبلاط الملكي:

رغم أن الإمبراطور أعطى بناته بعض المناصب السياسية والإدارية كحكام لبعض المقاطعات، إلا أنهن أردن التصرف في هذه المقاطعات وكأنها مستقلة عن البلاد، و تشير المصادر الحبشية إلى التمرد الذي قام به البحت ودد (عامد مسقل) الذي دعي فيما بعد باسم (عامد

- Perruchon: Histoire d'Eskender , d'Amda-Seyon II et de Na'od, p.364.

1- Manfred Kropp: Die Geschichte Des Lebna-Dengel, Claudius Und Minas, Scriptores Aethiopoci, Tomus 84, Vol 83,84, Lovanii in Aedibus E. Peeters, 1988,, p.5.

2- عرب فقيه: تحفة الزمان وفتوح الحبشة، نشره رينيه باسيه، تحقيق محمد شلتوت، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1394هـ- 1974م، ص 132، انظر أيضًا:
-Taddesse Tamrat: op, cit , P.282.

الشيطان) وهو زوج ابنه (زرء يعقوب) التي تدعى (برهان زمدا)، وكانت جريمته الأساسية وشاية وصلت إلى الإمبراطور بأنه يظلم الناس ويتمرد، إلا أن المؤرخ الملكي يروي أن جريمته الأساسية أنه تزوج سرًّا بامرأة أخرى بمساعدة "الصاسرجوية" (حامل الزينة الملكية) الذي يدعى (أمخا إياسيوس)، فما كان من الإمبراطور إلا أن عقد مجلسًا عسكريًّا وكشف أمام قادته جرائم (عامد مسقل) وانتهى المجلس إلى الحكم عليه بالإعدام، إلا أن مؤرخ البلاط يذكر أنه تم نفيه - (عامد مسقل) - إلى مكان لا يعلمه إلا الإمبراطور، كما تم عقاب بعض رجال الدين الذين ساعدوه على ذلك مثل (النبوراید نوب) - حاكم أكسوم - في دبرا دامو وأعدم معه[1].

وتشير المصادر الحبشية أيضًا إلى أكبر حركة تمرد في عصر (زرء يعقوب) وهو تمرد البحت ودد (إيسایاس Isaias) الذي كان أيضًا زوجًا لإحدى بنات الإمبراطور (أدل منجشا) وكان (إيسایاس) حاكم منطقة تيجري، وبعد زواجه من ابنة الإمبراطور تم تعيينه في منصب البحت ودد، وقد استطاع إقناع حاكم مقاطعة (جني) بالاشتراك معه في التمرد، ومما زاد من خطورة هذه الثورة انضمام بعض فرق الجيش وقادته مثل (بدل وني) الذي كان رئيس "فرقة الشباب" ورئيس فرقة الجان بلو، و"بدل كفت" رئيس "فرقة الصراوجيت"، وقد أراد هؤلاء المتمردون تعيين بعضهم في مناصب أعلى في الحكومة الإمبراطورية، وإبعاد بعض من وصفوهم بالفاسدين عنها، إذ طلب (إيسایاس) أن يكون حاكمًا لمقاطعتي جوجام وجني معًا، وعندما رفض الإمبراطور

---

[1] - "حين سمع الملك عنه أمر ظلم كثير وتمرد... وقد فعل خطيئة أخرى حين تزوج سرًّا امرأة -وهو زوج لإسرائيلية- وهبه إياها الصاسرجويه أمخا إياسوي ليتزوجها. وبمجرد أن سمعت زوجته برهان زمدا، أخبرت أباها الملك". انظر:

- Perruchon: Les chroniques de Zar'a Ya'qob et de Ba'eda Maryam,pp.10-11.see also, J. B. Coulbeaux: Histoire politique et religieuse d'Abyssinie ("The Political and Religious History of Abyssinia"), Paris, 1929, p.138.

طلباتهم، بدأت هذه القوات في إحداث عمليات شغب في أرجاء المملكة، ورغم فشل بعض قادة القصر في التخلص منهم، إلا أن القوات الملكية استطاعت السيطرة عليهم، كما أثيرت ضدهم بعض الدعاية السيئة، فراح مؤرخ البلاط ينسب قيام زعمائهم ببعض الأعمال المنافية للآداب، حيث يشير النص الحبشي إلى أن (بدل وني) قد زنى بامرأة أبيه، كما كان لزوج أخته (حرب سجد) نفس العلاقة معها وكلاهما يعلم[1].

على أن أمر هذه الدسائس والمؤامرت لم تقف عند حد بنات الإمبراطور وأزواجهن، بل امتدت لتشمل أولاد الإمبراطور الذكور، فيحكي (زرء يعقوب) نفسه في كتاب "مصحف ميلاد" عن ولديه (جلاديوس) و(عامد ماريام) اللذين اتجها بمساعدة أميهما إلى السحرة والعرافين وأجبراهم على تقديم القرابين للشيطان، بل وصل الأمر إلى الاتفاق فيما بينهما على أن يأتي (جلاديوس) ببعض مؤلفات أبيه "طومار تصبئت – مصحف برهان" لحرقها، وذلك في مقابل الاعتراف به ملكًا على البلاد، وقد تم الكشف عن هذه المؤامرة وعاقبهما الإمبراطور بالضرب بالسوط فمنهم من عاش ومنهم من مات[2].

كما ثار أيضًا (بئيد ماريام) ابن (زرء يعقوب) بمساعدة أمه، وذلك في السنوات الأخيرة من حكم أبيه بعد أن شعر بطول فترة حكم أبيه ولرغبته الجامحة في تولي الحكم، إلا أن هذه المؤامرة قد تم الكشف عنها أيضًا، و أمر الإمبراطور بربط يدي وقدمي ابنه (بئيد ماريام) وجلده حتى كاد أن يهلك هو وخادمه (محاري كرستوس Mahari Krestos) لولا شفاعة بعض رجال الدين وعلى رأسهم كل من رئيس دير ليبانوس

---

1 - مجدي عبد الرازق سليمان: المرجع السابق، ص ص 46-47.

2 -"وفي ذلك الوقت جمع الملك الكثير من الناس، وأطلعهم على عقوبات أولاده ومحاكماتهم القاسية قائلًا: انظروا كيف فعلنا بأولادنا حين أجرموا على الرب، وغيرة له لم نرحمهم". انظر:

- Perruchon:Les chroniques de Zar'a Ya'qob et de Ba'eda – Maryam, p.99.

مجدي عبد الرازق سليمان، المرجع السابق، ص 44.

Dabra Libabos ودبر كاسوا Dabra Kaso والأب الرحيم (أبو قير) التابع لدير اندجيطن فأطلق الإمبراطور سراحه وأنعم عليه بمنحه بعض المناصب الشرفية[1].

وهكذا ذكرت المصادر الحبشية تمرد أولاد وبنات الإمبراطور وذكرت أسماء من تمردوا من أبناء الإمبراطور، إلا أنها لم تذكر أسباب تمردهم بشيء من التفصيل، كما ذكرت عقابهم أمام الناس ليروا بأنفسهم ماذا يفعل الملك بأبنائه من أجل المسيح، إذ يفهم من ذلك اتجاه البعض منهم لعبادة الأوثان أو لدين آخر، وهو الأمر الذي يفضي إلى عقوبة الموت[2].

ب- تمرد بعض رجال الدين:

لم تقتصر تلك الثورات داخل العائلة الملكية فحسب، بل امتدت لتشمل بعض رجال الدين ورؤساء الأديرة الذين أرادوا تنحية (زرء يعقوب) عن العرش وتولية غيره، وقد وصف مؤرخ البلاط هؤلاء "بالرجال الأشرار" الذين يدعون (تعاوق برهان) و(زرء صهيون)[3]، يذكر أن هذا التمرد اشترك فيه بعض حكام المقاطعات وبعض الرهبان مثل الأب (أندروس Abba Indiriyas) رئيس دير دبرا ليبانوس، والملاحظ أن كاتب النص لم يذكر معلومات دقيقة حول هذا التمرد، ربما يرجع ذلك إلى أن الطبيعة السياسية لأعمال الإمبراطور شغلت المؤرخ بما يسجل من مثل هذه الأحداث، فيذكر أن الملك وحده يعرف قصة هؤلاء

1-"وحمل الرسل الذين أرسلهم بئيد ماريام إلى القديسين بشارة هؤلاء القديسين: من دبر ليبانوس، ودبر كاسو، ومن الأب الرحيم أبو قير التابع لدير إندجبطن". انظر:
Perruchon:Les chroniques de Zar'a Ya'qob et de Ba'eda – Maryam, p.108.

2- مجدي عبد الرازق سليمان: المرجع السابق، ص 48.

3- "وفي ذلك الوقت قام أشرار من الناس يدعونهم: تعاوق برهان، وزرء صهيون بعد أن وضع الشيطان في عقولهم شرًّا، فافتروا ظلمًا على هؤلاء الأمراء وغيرهم من الناس" انظر:
- Perruchon: Les chroniques de Zar'a Ya'qob et de Ba'eda – Maryam, p.98.

الحقيقية وفضل عدم إعلان التهمة الموجهة لهم سوى أنهم كانوا يعبدون الأوثان. كما أن أمهاتهم كنَّ سببًا في ضلالهم إلى السحر الأسود، فضلًا عن ادعائهم باطلًا أن الإمبراطور قام بتجنيد جيش من الجواسيس في أنحاء المملكة يمسكون ببعض أفراد الشعب ليحطموا أنوفهم بمسامير حديدية ويجمعوا دماءهم في أوعية كبيرة ثم يتم غليه وعندما يبرد يدهن به الإمبراطور جسده[1] على أن (زرء يعقوب) قد نفى عن نفسه هذه الشائعات التي وصفها بالبلهاء[2].

ومن خلال سيرة حياة القديسين نتعرف على بعض الطرق التي لجأ إليها الإمبراطور لمعالجة هذه الأزمات، من ذلك مناقشة القديس تكلا هاوتريت Abba Takla-Hawaryat لعلاج أمر هذه الإضرابات، وعندما اختلف مع الإمبراطور اختلافًا بيّنًا، رأى فيه الإمبراطور تطاولًا على شخصه وألقى به في السجن[3]. وهكذا لجأ الإمبراطور إلى سياسية الحديد والنار لقمع هذه الثورات جميعًا، كما أنه لجأ إلى البطريرك والقضاة والمطران المصري؛ إذ أنه نجح في إقناع البطريرك (يوحنا) لاستصدار وثيقة حرمان من قبل الأب يوحنا (831-857هـ/1428-1453م) "لكل من يحاول عصيان الملك أو أراد تولية غيره على عرش المملكة يكون مطرودًا ومحرومًا بكلمة الرب"[4].

ومنذ ذلك الحين في عام866هـ/ 1462م عاش (زرء يعقوب) يحكم المملكة بيد من حديد طيلة ست سنوات، إلا أنه نتيجة هذه التمردات عاشت الحبشة في هذه الفترة في ارتعاد وخوف من شدة حكم الملك، فقد كان (زرء يعقوب) يقتل من يريد من الناس ويعفو عمن يريد، ويقدر من يريد ويعظمه ما دام قد نفذ مشيئة الرب وأمر الإمبراطور"[5].

---

1 - Coulbeaux: op, cit,p.137.

2 - مجدي عبد الرازق سليمان: المرجع السابق، ص 48.

3 - Taddesse Tamrat: Church and State in Ethiopia, p. 241

4 - انظر وثيقة الحرمان في ملاحق في الجزء الثاني من الكتاب.

5 - "وهناك (في دبر برهان) قتل الكثيرين من الناس ونفي البعض حين افتروا على الرب ومسيحه، وقدر الكثيرين وعظمهم، ممن نفذوا مشيئة الرب، وأمر الملك". انظر:
- Perruchon: Les chroniques de Zar'a Ya'qob et de Ba'eda – Maryam, p.73.

2- في عهد (بئيد ماريام) (873-883هـ/1468– 1478م):

رغم شدة حكم (زرء يعقوب) في قمع الثورات التي قامت في عهده، إلا أن هذه الثورات استمرت في عهد خليفته (بئيد ماريام)، ولكنها جاءت بصورة مغايرة تمامًا عن ما كانت عليه فى عهد أبيه، إذ جاءت في صلب العقيدة المسيحية نفسها، ومن ذلك أنه انتشرت صورة للرسام الإيطالي (فرانسيسكو دي ليون) التي تجسد السيدة مريم العذراء وهي تحمل طفلًا صغيرًا على ذراعها الأيسر كما درجت عليه العادة في أوربا آنذاك، إلا أن ذلك يتعارض مع الاعتقاد الشائع لدى الأحباش عمومًا بأن اليد اليسري هي علامة الشر بخلاف اليد اليمني التي تدل على الخير ما أدى إلى قيام الأحباش بثورة اعتراضًا على هذه الصورة[1].

وهكذا دخلت ثورات الحبشة طورًا جديدًا، واختلفت أهدافها، إذ تحولت من الثورة على الحكم إلى المجادلات الدينية والعقائدية، من ذلك أنه احتدم النقاش بين عدد من رجال الدين في البلاط الملكي وبعض الرهبان السريانيين وإخوانهم المصريين حول طبيعة السيد المسيح، فقد رأى فريق منهم أن السيد المسيح من نفس طبيعة الأب لأنه إله ابن إله، بينما رأى فريق آخر بأن طبيعة الابن أقل درجة من طبيعة الأب لأن المنطق يحتم وجود الأب قبل الابن لكنه صنع من مادة فائقة الوصف فجسد المسيح لم يصنع مثل الإنسان العادي من دم ولحم وشرايين... إلخ[2]، وعلى هذا فقد أمر (بئيد ماريام) بالقبض على هؤلاء

---

1 - Budge: op, cit ,p.304.

2 - تعد هذه المشكلة من أكبر المشاكل التي واجهت الديانة المسيحية في القرن الرابع الميلادي، إذ قسمت العالم المسيحي إلى قسمين وأثارت البغضاء الدينية والسياسية فيما بينهم لمدة طويلة، ذلك أنه حدث خلاف بين اثنين من رجال الكنيسة بالإسكندرية حول تحديد هذه العلاقة، فقال أريوس -وهو كاهن سكندري مثقف- أن المنطق يحتم وجود الأب قبل الابن، ولما كان المسيح الابن مخلوقًا للإله الأب فهو إذا دونه ولا يمكن بأي حال أن يعادل الابن الإله الأب في المستوى والقدرة. وبعبارة أخرى فإن المسيح مخلوق لا إله بمعنى هذه الكلمة المطلق، وإلا فإن المسيحيين يصبحون متهمين بعدم التوحيد وبعبادة إلهين. أما أثناسيوس فقال بأن فكرة الثالوث المقدس تحتم بأن يكون الابن مساويًا للإله

وأمر بعقابهم بالجلد والقضبان الحديدية تبعًا لدرجة عقوباتهم كل حسب درجته[1].

على أن أمر هذه المجادلات لم يقتصر على النقاش حول الأمور الدينية فقط، بل امتدت إلى طريقة عمل الإمبراطور ذاته، ومن ذلك أنه أُثير جدلٌ واسعٌ عن كثرة تنقلات (بئيد ماريام) بين مقاطعات المملكة كيفما يريد، فقد أوردت المصادر الحبشية أن الإمبراطور يقضي معظم وقته على ظهور الخيل وأهمل المملكة وترك شؤونها الداخلية وبخاصة أمور القضاء، وأن الإمبراطور لا يعيش وفق تقاليد ومبادئ أسلافه، وأنه يلهو كما يلهو الشباب، وانتشرت مثل هذه الأحاديث بين الشعب، ويشير كولمبس إلى اشتراك بعض قادة الجيش في هذه الوشايات[2]، وقد أثارت مثل هذه الأحاديث حفيظة الملك وأمر بجمع الناس ومعهم كثير من الرهبان والليقاقطاني (قاض من القضاة) و اجتمع الجميع في إحدى قاعات الملك و قال لهم: "وقلتم إن ملكنا لا يقضي يومه في أمر القضاء، وفي شريعة الملك، بل في ركوبه الخيل - هكذا قلتم، لأن هذا التقليد - ركوب الفرس وإطلاق السهام - لم يكن لدى آبائي الأقدمين من قبل". وأمر بتقديم أصحاب هذه الوشايات وإلا فالموت للجميع، ورغم إنكار

الأب تمامًا في كل شيء بحكم أنهما من عنصر واحد بعينه، هذا وإن كانا شخصين متميزين. ومن الواضح أن المذهب الأريوسي كان يتفق ومنطق المثقفين لأنه أراد أن يقيم العقائد المسيحية على أساس من المنطق والتعقل، في حين كان المذهب الأثناسيوسي يستقيم وتفكير عامة الناس من البسطاء الذين يحكمون عواطفهم قبل عقولهم. ولم يلبث أن ساد المذهب الأثناسيوسي في بلاد الغرب اللاتيني في حين أصبحت الغلبة في الشرق اللهيني للمذهب الأريوسي. هذا فضلًا عما نلاحظه من أن معظم المفكرين والفلاسفة والأدباء كانوا أريوسيين موحدين، في حين كانت معظم الطبقات الوسطى والدنيا التي انتمى إليها رجال الدين من الأثناسيوسيين. للمزيد انظر سعيد عبد الفتاح عاشور: تاريخ أوربا العصور الوسطى، دار النهضة العربية، بيروت، الطبعة الأولى، القاهرة، 1976، ص ص39-41.

1-Richard Pankhurst: The Ethiopian Royal Chronicles, Oxford university press, London, 1967, p. 45.

2 - Coulbeaux: op, cit, p.166.

الجميع لهذه التهمة إلا أن الإمبراطور أمر بقطع أرجلهم وتم نفيهم إلى عدة أماكن مختلفة[1].

ورغم شدة حكم الإمبراطور إزاء هذه المجادلات، إلا أنها تطورت ووصلت إلى الإمبراطور نفسه، فيذكر النص الملكي ان الليقامطاني (يكلي) انفرد بالإمبراطور وأخبره بأن الجان مساروتش[2] تمردوا عليه، وأرادوا تنفيذ مؤامرة للتخلص من حكمه، وفي اليوم التالي أمر الإمبراطور بإحضار هؤلاء جميعًا لاستجلاء الحقيقة، ورغم أن الجميع أقسم بكنيسة صهيون على نفيه القيام بأى محاولة لإيذاء الملك، إلا أنه أمر بتعليق الجان مساروتش من رقابهم[3].

وهكذا اضطر (ماريام) إلى اتباع سياسة أبيه في مواجهة هذه الثورات التي حيكت ضده، لذلك فقد دخل الرعب إلى قلوب الشعب[4]، والذي ظن في بداية الأمر بأن هذا الملك يختلف عن أبيه بدليل إصداره العفو العام عن جميع المسجونين الذين اعتقلوا في عهد أبيه (زرء يعقوب) وأعادهم إلى ديارهم، إضافة إلى أنه سمح لجميع

---

1 - Richard Pankhurst: The Ethiopian Royal, p.47see also Perruchon , op, cit, p. 128.

2 - الجان مساروتش: جمع مفرد لكلمة (جان مساريه) وهو صاحب المراسم الخاصة بالملك، والمسؤول عن تقديم الأجانب في حضرة الملك". انظر مجدي الرازق سليمان، المرجع السابق، ص 112.

3 - "وفي اليوم التالي أمر الملك أن يجمعوا جميع الجان مساروتش، وأن يأتوا بهم إلى القصر. وحين أدخلوهم إلى القصر في الفجر أخذوا كل واحد منهم وخنقوه بمفرده، حتى اضطرب وارتعد جدًّا كل الذين شاهدوهم... بينما ظلوا معلقين من رقابهم في ذلك اليوم من الفجر حتى الساعة التاسعة". انظر:

- Perruchon: Les chroniques de Zar'a Ya'qob et de Ba'eda – Maryam, pp.162-163.

4-"ولهذا السبب دخل الرعب في قلب كل الشعب حتى تحادثوا فيما بينهم بأن هذا الملك أشد من أبيه". انظر:

- Perruchon: Les chroniques de Zar'a Ya'qob et de Ba'eda – Maryam,p.129.

الناس بارتداء ما يشاءون من الملابس ذات الألوان مختلفة[1]. إلا أنه انتشر بين الشعب الحبشي في ذلك الوقت أن الإمبراطور أشد قسوة من أبيه، ومما دلل على ذلك عقابه للصاسرجوية الذي يدعى (جبرواحد) بحجة استخدامه ضرائب المملكة فيما لا يحق له[2].

3- في عهد (ألكساندر 883-898هـ/1478-1492م):

كانت إدارة المملكة الحبشية في عهد هذا الإمبراطور تتم عن طريق (العقابي ساعات تاسفا جورجيس Tasfa – Giyoris)[3] وكل من الوزيرين البحت ودد اليمين الذي يدعى (أمادا ميكلا Amda- Mikai el) والبحت ودد اليسار الذي يدعى (بدالي رد Badla – Re ed) فضلًا عن وصاية أمه، إذ كان طفلًا صغيرًا[4].

وقد انفرد بإدارة أمور المملكة (أمادا ميكلا) لكونه أكثرهم خبرة وكان ذا قوة كبيرة منذ أيام (زرء يعقوب)، لذلك كانت له اليد العليا في

---

1 -"وفيما بعد نادى المنادي قائلًا: من الآن فصاعدًا ارتدوا جميعكم ما يحلو لكم (من الملابس) سواء (كانت) بيضاء أو حمراء. وأنتم أيها السجناء، يا من كنتم عن قرب أو عن بعد عودوا إلى منازلكم". انظر:

- Perruchon: Les chroniques de Zar'a Ya'qob et de Ba'eda – Maryam, p. 168, see also Richard Pankhurst: op, cit, pp.43-44.

2-"وقد أمر ملكنا ثانية بأن يجعلوا في ملابسه زيتًا ويدهنوه كثيرًا، ويشعلوا نارًا، ويأخذوا ملابسه التي دهنت بالزيت، ويحرقوه مربوطًا مصلوبًا ورأسه إلى أسفل". انظر:

Perruchon: Les chroniques de Zar'a Ya'qob et de Ba'eda – Maryam, p. 165.

3 - أحد أبرز الذين حاربوا البحت ودد أماد ميكلا وقد أنعمت عليه الكنيسة بلقب "Makbiba – Beta – Kristiyan" وهو لقب أعلى من لقب "العقابي ساعات" لكثرة إنعامه على رجال الدين، إذ يرد هذا اللقب في قداس ديني عن طريق القديس تكلا إيسيوس مو. انظر:

- Taddesse Tamrat: The Abbots of Dabra Hayq 1248-1535, in(JES), VIII, no.1, 1970, pp .109-111.

4 - "ووالدته رومانة والعقابي ساعات تاسفا جورجيس والبحت ودد أمادا ميكلا اتفقوا فيما لا اعتراض بينهم ولا في المداولات ولا في الأوامر التي أصدروها". انظر:

- Perruchon: Histoire d'Eskender , d'Amda-Seyon II et de Na'od, p.353.

الحكومة أيام (ألكساندر) حتى أن الملكة (رومانه) اختفت تقريبًا من الساحة السياسية في ذلك الوقت، ما أثار حفيظة باقي كبار رجال البلاط، فتعاونوا بقيادة كل من الأب (حسيبو Abba – Hasabo) و(مأيمون باسيدك Me eman Basedequs) والأب (أمادوا Abba – Amdu) لإسقاطه، ورغم ذلك استطاع البحت ودد (أمادا ميكلا) القبض عليهم جميعًا، وقام بجلدهم عدة مرات ثم تم نفيهم جميعًا، وأثناء سيرهم إلى المنفى لقي بعضهم مصرعه[1].

وهكذا انتصر (أمادا ميكلا) على أعدائه، ولكن بمرور السنوات ازادت المعارضة ضده، خاصة بعد أن أدرك (ألكساندر) حقيقة الأمور، فقد كان محاطًا بالعديد من رجال البلاط الذين نظروا إلى البحت ودد و كأنه عقبة تقف في طريق طموحاتهم، و قد أرادوا وضع حدٍّ لسلطته، ورغم أن النص الملكي لا يشير على وجه الدقة إلى الأسباب التي أدت إلى سقوطه، إلا أنه من الواضح أن أعداءه عزلوه عن الإمبراطور الشاب وقاموا بالوشاية ضده أكثر من مرة، ما جعل الإمبراطور يصدر أمرًا بالقبض عليه ونفيه إلى مكان مجهول[2].

وتشير المصادر الحبشية إلى أن (أمادا ميكلا) تمكن من تجميع أنصاره مرة أخرى بالتعاون مع بعض فرق الجيش واستطاع الرجوع إلى البلاط، وراح جنوده يخربون في البلاد سلبًا ونهبًا، إلا أن الإمبراطور تمكن من إلقاء القبض عليه وحكم عليه بالإعدام[3].

كما تشير الأحداث أيضًا إلى أن الموت أدرك الملك فجأة وهو فى سن صغيرة فلم يكد يبلغ من العمر اثنين وعشرين عامًا، فأخفت الملكة

---

1 - "ولكن سرعان ما بدأت العداوة بين كل من الأب حسيبو والأب أمادا ميكلا ومأيمون باسيدك ضد البحت ودد أمادا ميكلا عندما أدركوا أنه الحاكم الوحيد لإثيوبيا". انظر:
- Perruchon: Histoire d'Eskender , d'Amda-Seyon II et de Na'od, p.353.

2 - Coulbeaux: op, cit,p. 171.

3 - Perruchon: Histoire d'Eskender , d'Amda-Seyon II et de Na'od, p.354.

الكبيرة (إيليني) خبر وفاته وأمرت بحفظ جثته خوفًا من محاولة (زا سليوس) اغتصاب العرش، وهو ما يثير العديد من التساؤلات حول هذه الوفاة[1].

4- في عهد (عمدا صهيون الثاني 898-899هـ/1492- 1493م):

على إثر الموت المفاجئ للإمبراطور (ألكساندر) اندلعت الحروب الأهلية في الحبشة، فقد زحف (زا سليوس) بسرعة مع بعض قواته نحو جبل الملوك "أمبا جيشن" في أمهرة، و استطاع أخذ الأخ الأصغر للملك المتوفى و يدعى (ناؤود) وأعلنه ملكًا على البلاد ثم اختفى بسرعة خوفًا من قوات رجال الحرس الملكي[2].

ورغم إعلان (ناؤود) إمبراطورًا على الحبشة، إلا أن مجلس الوصاية بمشاركة الملكة (إيليني) وتأييد أقوى مسؤولي البلاط الذي يدعى (تكلا كرسيوس Takla – Kristos) سارعا بتتويج ابن (ألكساندر) الذي يدعى (عمدا صهيون الثاني)، وهو لم يتجاوز السابعة من عمره، وبذلك انقسم البلاط الملكي في الحبشة بين معسكرين، معسكر أنصار (عمدا صهيون الثاني) بزعامة (تكلا كرسيوس) ومعسكر أنصار عمه (ناؤود) بزعامة (زا سليوس)، وقد اندلعت الحروب الأهلية بين المعسكرين ووصلت إلى العديد من المقاطعات الحبشية، واستمرت هذه الحروب الأهلية ستة أشهر كاملة هي عمر الملك (عمدا صهيون) في الحكم، تمكن خلالها (تكلا كرسيوس) من هزيمة (زا سليوس)، وسجن معظم ثوار جيشه، وعاقبهم بإفقادهم أبصارهم، وقد أعلن الحداد في بعض الكنائس الحبشية نتيجة كثرة عدد القتلي، إلا أن هذا الحداد انتهى بموت الإمبراطور، حتى أن سجل حياة وسير القديسين أعلن ارتياحه لموته وبشر بعهد الخير والسلام بعد أن تولى (ناؤود)[3].

---

1 - Budge: op, cit ,p.322.

2 - Taddesse Tamrat: Church and State in Ethiopia, pp.290-293.

3-Richard Pankhurst: The Ethiopians , Blackwell, Cambridge , London , 1998, p. 36

5- في عهد (ناؤود 900-914هـ/1494-1508م):

وهكذا انقلبت الأوضاع في الحبشة بعد موت (عمدا صهيون الثاني)، وأصبح أعداء الأمس هم أنفسهم أصدقاء اليوم، فها هو (ناؤود) الذي رشحه (زا سليوس) قبل ستة أشهر فقط يتولى العرش، وكان الصراع ما زال مشتعلًا على السطح في بعض المقاطعات عندما أعاد (زا سليوس) إعلانه للمرة الثانية (ناؤود) ملكًا في أمهرة في (ذي الحجة 899هـ/أكتوبر 1494م)، وقد أدى هذا الإعلان إلى فرار كثير من حكام المقاطعات والنبلاء الذين كانوا معارضين إعلانه إمبراطورًا، كما فر (تكلا كرسيوس) إلى إيفات عام 900هـ/ 1495م، وراح يثير أهالي إيفات ضد الإمبراطور عن طريق عدد من فرسانه، إلا أن أهالي إيفات نجحوا في القبض عليه واقتادوه مقيدًا بالسلاسل إلى الإمبراطور الذي قام بنفيه، وقام بعض أفراد الحرس الملكي بفقء عينيه أثناء ترحيله إلى المنفى[1].

ويذكر النص الحبشي أن الراهب (يوحنا) بشر بأن (ناؤود) سوف يكون عهده مليئًا بالخير والهدوء والسلام[2].

كما أصدر الإمبراطور قرارًا بالعفو العام عن بعض السجناء، وقد سخر بعض رجال الدين من مثل هذه النبوءة وراحوا يثيرون الفتن الداخلية ضد الإمبراطور وبعض مسؤولي البلاط، وكان على رأس هذه الفتنة الراهب (أندروا Andrew)، وقد استطاع الملك إلقاء القبض عليه وقطع لسانه[3].

1-"ووصل إلى محافظة إيفات، وسعى أن يضم إلى عمله الظالم كل جنود الشوا الذين كانوا في هذه المحافظة، ولكن هؤلاء وهم عارفون بتفكيره تركوه بسبب خيانته وقيدوه بالسلاسل واقتادوه إلى الملك". انظر:

- Perruchon: Histoire d'Eskender , d'Amda-Seyon II et de Na'od, p.364.

2 -" حيث كانت كل البلاد هادئة وقد قص أحد الكهنة واسمه يوحنا قبل مجيئه ما يلي: "لقد سمعت صدى من السماء يقول: "ناؤود يحكم ممتدحًا ومختلفًا". انظر:

- Perruchon:Histoire d'Eskender , d'Amda-Seyon II et de Na'od, p.363.

3 - Budge: op, cit ,p.323.

6- في عهد (لبنا دنجل 964-947هـ/1508-1541م):

اعتلى (لبنا دنجل) العرش في 22 أغسطس 1508م، بعد أبيه (ناؤود)، وكان لديه أربعة أخوة هم (فكتور) و(يعقوب) وقد ماتا في حياة أبيهم (ناؤود)، إضافة إلى (كلوديوس) و(ميناس)، وكان اختيار وريث من بينهما أمرًا صعبًا، لكن الملكة الحكيمة (إيليني) نجحت بالاشتراك مع الأب (ماركوس Abuna Marcus) في اختيار (لبنا دنجل) لصغر سنه و كان في الثانية عشرة من عمره[1].

ورغم موافقة كبار النبلاء على هذا الاختيار، فقد وقعت بعض المواجهات بين أنصار (لبنا دنجل) وبين معارضيه، إلا أن الأمور سرعان ما انتهت لصالحه نظرًا لأن خطر المسلمين كان قد ازداد منذ أواخر عصر (ناؤود)، إذ تم احتلال عاصمة البلاد لأول مرة في تاريخ الأسرة السليمانية الجديدة في عهده[2].

ولم يذكر النص الحبشي في عهد (لبنا دنجل) أي إشارات أخرى ربما تشير إلى ظهور أي تمردات أو دسائس على حكمه سواء من رجال الدين أو كبار مسؤولي البلاط أو النبلاء، رغم بدء التدخلات البرتغالية في البلاد في ذلك الوقت. بل على العكس من ذلك، فتشير المصادر الحبشية في عهد هذا الملك إلى أنه لم يجرؤ أحد من الشعب على إحداث أي تمرد أو شغب سياسي أو ديني[3].

وهكذا فقد ساد طيلة هذه الفترة العديد من الاضطرابات السياسية داخل وخارج البلاط الملكي التي لم يخل منها عهد حاكم منها

---

1 - " تبوأ هذا الملك الحكم وهو في عمر الثانية عشر" انظر:

- Manfred Kropp: op, cit , p.3.

2 - Budge: op, cit ,p. 324

3 - "وفي عهده لم يقم متمرد ثائر ولم ينبت أحد حيف... لأن العدل والقسطاس قد باتا زينة عرشه، وعم كل أقطار مملكته استقرار وسلام". انظر:

- Manfred Kropp: op, cit , p.5.

(اللهم في عهد لبنا دنجل)، فضلًا عن ثورات قوات الحدود نتيجة بُعْد وضعف السلطة المركزية، كل ذلك أدى إلى ضعف المملكة المسيحية خاصة منذ بداية عهد (ألكساندر) الذي عانى من هزيمة عسكرية في سلطنة عدل، كما ازداد الضغط الإسلامي على حدود المملكة عامة، وذلك نتيجة الصراعات الداخلية بين النبلاء المسيحيين والمذابح الدموية بين بعض رجال الحرس الملكي.